المصدر: صباح الخير
التاريخ : ١٩٩٩/٨/٥

سادات أنيس منصور!

«السادات» الذى عرفه
«أنيس منصور» حاجة تانية
خالص!!
إنه ليس السادات الذى
عرفه هيكل أو موسى صبرى
أو أحمد بهاء الدين!!
اقترب أنيس منصور من
«السادات» محاوراً وناصحا
وصديقاً وكاتباً وصحفياً
وصاحب مئات النوادر
والحكايات. وذلك ماستحق
أن يوضع بين دفتى كتاب!
وحتى يروى كاتبنا الكبير
أنيس منصور حكايته مع
السادات وحكاياته عن
السادات.. أرصد فى هذه
السطور ملامح بسيطة من
الحكاية، وقد رواها أنيس
على مراحل متعددة، ومقالات
وكتب متفرقة.
إن «سادات» أنيس منصور »
«سادات» مختلف عن كل
ماعرفناه!!

أى إنسان هو ثلاثة أشخاص!
أنت كما ترى نفسك
أنت كما يراك الناس
وأنت كما تحب أن تكون»

بهذه الرؤية الفلسفية يحدد الكاتب الكبير «أنيس منصور» صورة السادات كما رآها ولمسها وعاشها عن قرب وطوال سنوات!

ويقول «أنيس»: «أسىء فهم الرئيس السادات كثيراً، فهو قادر على أن يمزج هذه الصور بعضها ببعض، وقادر على إخفائها تماماً، فهو مثل كل أبناء الريف بسيط وصبور وقادر على إخفاء مايريد ويسرف فى ذلك، بل إنه يقول كل شىء حتى يخيل إليك أنه لم يعد لديه شىء، ويخفى كل شىء حتى تتصور أنه لايريد أن يقول شيئاً!!

وأول ماتلاحظه على الرئيس السادات هذه البساطة أو هذه التلقائية فى الحديث، ويكون انطباعك عنه أنه رجل فطرى ريفى.. فهو يضع على لسانه مايخفيه فى قلبه، ولكن ليس هذا صحيحاً دائماً، فكثيراً ماأعلن شيئاً وأخفى أشياء كثيرة».

ولقد جرت ووقعت أشياء من هذا القبيل فى الأيام والأسابيع التى سبقت حرب أكتوبر عام ٧٣، فقد تأكدت إسرائيل أن مصر سوف تقوم بهجوم مفاجىء يوم أول أكتوبر، وبدأ الروس يرحلون رعاياهم من مصر وسوريا، وانزعجت «جولدا مائير» رئيسة الوزراء الإسرائيلية، وتأكد لديها أن الحرب آتية لا ريب فيها، لكن «ديان» وزير الدفاع أكد لها أن ذلك مستحيل!

وفى الساعات الحاسمة تلقت «جولدا مائير» رسالة من مصدر موثوق به أكد فيها أن مصر تستعد للحرب، واستخف «ديان» بالرسالة أو بالتحذير، وقال لمائير:

- «إن مثل هذا المصدر الموثوق به سبق له أن حذرنا كثيراً من هجوم يقوم به السادات، ولكن السادات يغير رأيه كثيراً!!».

ثم يروى أنيس منصور «كيف خدع السادات إسرائيل وكذب عليها».. فيقول:

«كان الرئيس السادات» قد التقى بوزير خارجية إحدى الدول ونقل إليه همومه الخاصة، وقد غلفها بكثير من الخدع السياسية، وقد رسم كل هذه الخدع فى نبرة صوته وملامح الأسى والخبث

الريفى، حتى كاد الرجل أن يخرج المنديل من جيبه خشية أن تنزل دموع الرئيس السادات، ثم قال له السادات:

- بصراحة أنا أريد أن أطلعك على سر.. ولولا أنك صديق وصديق لمصر ماأقدمت على ذلك، إننى سأذهب إلى الامم المتحدة فى أكتوبر القادم، وسوف أعرض قضيتى على العالم كله، وسوف ألقى اللوم كله على أمريكا، وبعد إلقاء خطاب سوف أعود إلى مصر دون أن ألتقى بالرئيس الأمريكى!

وبسرعة انتقلت كل هذه المعلومات إلى مخابرات أمريكا وإسرائيل، واجتمعت عقول المخابرات لتنتهى إلى هذه النتيجة: إذن ليس معقولاً أن يذهب السادات إلى أمريكا فى الوقت الذى تحارب فيه الجيوش المصرية، فلا حرب فى اكتوبر!!

كان هذا بالضبط مارواه السادات لأنيس منصور الذى يروى هذه الواقعة:

قال لى «موشى ديان»: إن السادات خدعنى شخصياً، فقد زار السادات أحد أصدقائى من الاطباء الامريكان الذين تخصصوا فى القلب، وشكا له السادات من الام فى صدره، وكشف عليه الطبيب وقال له:

- سيدى الرئيس قلبك مثل ساعة سويسرية تدق بانتظام، قلب شاب فى العشرين!

وضحك الرئيس السادات قائلاً (للطبيب):

- أنت مثل «جمال عبدالناصر» لم يصدق أننى أصبت بأزمة فى القلب، فأرسل لى الدكتور «محمد عطية» ليتأكد من ذلك، وكان يعتقد أننى أتظاهر بالمرض هرباً من المشاركة السياسية أو التورط السياسى!! لكن قلبى كما ترى نهاراً، أما فى الليل فهو يوجعنى ويخنقنى، ولذلك أنا لابد أن أستريح ثلاثة شهور على الأقل، هذه نصيحة الاطباء المصريين، وأن يكون ذلك فى أسوان او على ضفة قناة السويس، هذا حلم حياتى، ولكنى لاأستطيع أن أحقق الحلم قبل عامين(!!) يكون فيهما الجيش المصرى قد استعد، والرأى العام العربى والعالمى أيضاً!!

ويقول ديان لأنيس منصور: وقد تلقيت مكالمة تليفونية طويلة بهذا المعنى فى أواخر سبتمبر، وتأكدت من أنه لاحرب مهما كانت هذه التحركات العسكرية.

والسادات الذى عرفه أنيس منصور واقترب منه يرى نفسه بسيطا فى حياته، وفى علاقاته مع الناس، ويرى أن البساطة هى أن يكون مع الناس، وأن يستمع إليهم، ولو كان للاستماع مسابقة لفاز الرئيس السادات بكبرى الجوائز، فلديه هذه القدرة العجيبة على أن يستمع لأى أحد ولأى موضوع.

ويخيل إلى من ينظر إلى عينى الرئيس السادات أنه لايتابعه، لأن نظرات الرئيس السادات ليست مركزة، فهو لايركزها فيمن يتحدث إليه، إنما هى ذات طابع شامل أو طابع كاسح، فهو ينظر إليك وإلى كل ماحولك ومن حولك فى وقت واحد!

وقد وصفها عيزرا فايتسمان فى مذكراته بأن نظرة السادات حادة. قلقة. عامة غير مريحة وغير مشجعة أيضاً.

ولذلك يصفه بعض المؤرخين السياسيين بأنه صاحب نظرة حالمة، وأنه من الساسة الحالمين، أو أصحاب الرؤى والخيال والفلسفة، والسادات مؤمن بالعبارة التى قالها «ماو تسى تونج» (الزعيم الصينى): أنه لاثورة بغير شعر! أى بغير فن وذوق وخيال وإبداع».

والذى يرى الرئيس السادات بالجلباب والشبشب والعباءة يخيل إليه أنه وضع هذه الأشياء هكذا، دون تفكير. أبداً، إنه يختار ملابسه جيداً، وهو يقول لخادمه.. هات الجلباب الفلانى الموجود فى الدولاب بين البدلة الرمادى والبدلة الزرقاء.. وهات الشبشب البنى وليس الأسود لأن الأسود له أطراف حادة وهكذا!!

وكذلك يختار ملابسه ويطلب من الترزى التفصيلة التى تعجبه ويعرف أماكن ملابسه تماماً. وهو الذى اختار ملابس وتفصيلات الحرس الجمهورى، وبدلة التشريفة العسكرية!!

وكان الرئيس السادات شديد الملاحظة، فكان يروى الأحداث هكذا. كان ذلك يوم الخميس ٤ مارس، لا يوم الأربعاء ٥ مارس ظهراً، وقابلت «د.محمود فوزى»، وكان يرتدى بدلة رمادية، واندهشت أنه يرتدى جورباً أحمر اللون، وسألته إن كان قد فوجىء بهذه الزيارة .. فقال: نعم لقد كنت نائماً وطلبت ألا يوقظنى أحد.. ولكن عندما عرفوا بقدومك أيقظونى بسرعة .. ولكن لماذا ياسيادة الرئيس؟

فضحك الرئيس السادات وقال: «فقط لأن جوربك أحمر.. ثم إن القميص قد سقط منه زرار.. هاها .. هاها».

في يوم نشرت «اخبار اليوم» صورا للرئيس السادات وهو يحلق ذقنه بالقميص وبنطلون البيجامة، وصورته وهو يركب بسكليت، وهو على الأرض يقوم بحركات رياضية، كجزء من نشاطه اليومي. طبعا لابد ان يكون الرئيس قد وافق على التقاط الصور. «فاروق إبراهيم» لهذه الصور، ولابد ان يكون إبراهيم سعدة «رئيس التحرير» قد استأذن الرئيس في نشرها!

وذهبت إلى الرئيس في القناطر الخيرية، فوجدت السيدة «جيهان السادات» والمرحومين «همت مصطفى» و«سعد زغلول نصار» وكانت «جيهان السادات» غاضبة من هذه الصور وبادرتني بسؤالها

- إيه رايك انت؟

قلت لها: مافيش فيها حاجة. إن رؤساء أمريكا ينشرون صورهم وهم يلعبون ويصطادون السمك.. ولعل الرئيس السادات يريد ان يقول: إن حياته بسيطة، وانه إنسان عادي جدا، أو أنه في صحة جيدة!

- لا لا.. يانيس لا.. الناس انزعجت لما شافت الصور.. صورة وهو على الأرض.. كيف تنشرها «اخبار اليوم».. الصور اساءت للريس جداً.. لا لا لا يانيس. ماتقولش كده للريس. اسأل «همت» واسأل «سعد»!

قالت همت: انا رايت الصور في الصباح فانزعجت وتصورت ان سيادة الرئيس حصل له حاجة!

وقال سعد زغلول: المراسلون الأجانب هلكوني مكالمات.. إيه ده.. إيه اللي حصل.. إيه يعني؟!

وتركتهما وذهبت للرئيس، وكان جالساً على «المرجيحة» الموجودة في الجنينة.. وصافحت الرئيس وجلست وسألني:

- أخبارك إيه.. هتكتب إيه؟.. قابلت مين؟! سألت بيجين حيعمل إيه؟! قل لي؟!

وفي هذه اللحظة جاءت السيدة جيهان السادات «غاضبة» وقالت لي:

- كل الناس مش موافقين على نشر الصور، مافيش غير أنيس!!

قلت: انا قلت للهانم ياريس ان الصور مافيش فيها حاجة، ونحن نرى رؤساء امريكا يلعبون ويسبحون، وهي اشياء عادية جدا في الدنيا، وقلت لها لعل الرئيس يريد ان يقول أن حياته بسيطة جدا!

فاطلعتني جيهان السادات: اسمع «همت» بتقول إيه؟ وسعد زغلول التليفونات مبطلتش.. اسألهم يانور!!

وتضايق الرئيس السادات جدا، وأمر بعودة همت مصطفى للتليفزيون. وكانت مندوبة للعمل في سكرتارية الرئيس لشئون الإعلام، وانتقل «سعد زغلول نصار» إلى العمل في الحزب الوطني، وبعد ذلك إلى استراليا!

وقال الرئيس لزوجته أمامي: إنها حديث الناس ليوم واحد. وبعد ذلك سوف يجد الناس أشياء أخرى، لاتشغلي بالك!!

- كيف لا أشغل بالي ! إن هذه الصور فضيحة كارثة!!

وتضايق الرئيس جداً.. وانصرفت السيدة جيهان السادات غير راضية عن الذي قلت، والذي قاله.

●●

وكتب أنيس منصور يقول

ومنذ طفولته كان الرئيس السادات يرى أنه سوف يكون شيئاً هاماً!! فكان يقارن نفسه بالزعيم الهندي «غاندي». وكان يمسك الماعز ويمشي بها في شوارع قرية ميت أبوالكوم، وكان يعجب بـ«كمال أتاتورك» الذي أنعش آمال الشعوب الإسلامية في النهضة والاتجاه إلى الغرب، وكان يتخيل نفسه «هتلر» أيضاً، وقد أعرب عن إعجابه بهتلر في خطاب بعث به لصحيفة «واشنطن بوست»، وأعاد نشره الكاتب اليهودي «سول بيلو» الحائز على جائزة نوبل في الأدب في كتابه «القدس، ذهاباً وإياباً».

وفي التسجيل الذي أجرته إحدى محطات التليفزيون الأمريكي مع الصحفي البريطاني «دافيد هيرست» وأثار غضب الرئيس السادات في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ميت ابوالكوم، وطرد على أثره مندوب التليفزيون الأمريكي قال «هيرست»:

- « إن الرئيس السادات لايريد السلام حقاً، إنه رجل مسرحي استعراضي نازي، ومن أشد المعجبين بهتلر وله خطاب معروف».

والرئيس السادات كما عرفه أنيس منصور يفضل الوحدة، أي يفضل العزلة - أي أنه شعبي جماهيري يتصل بالناس ويعيش بهم ومن أجلهم، وفي نفس الوقت يفضل أن يكون بعيداً، ولذلك لايبقى في بيته إلا أياماً قليلة جداً من كل سنة:

ففي الشتاء يذهب إلى أسوان والقناطر واستراحة الهرم أو في استراحة عثمان أحمد عثمان في الحرانية. وفي الصيف يسافر إلى المعمورة وكينج مريوط. وهو معذور في ذلك فبيته في الجيزة ضيق جداً!! وأصوات الطباخ والسفرجية ترن في كل غرفة. كما أنه على مسافة قصيرة من السفارة السوفيتية التي تتنصت عليه،

ثم إن اعتبارات الأمن ترى ضرورة تنقله من مكان إلى مكان!!

ومعروف عند الحراسة الخاصة للرئيس السادات أنه عندما ينتهي من رياضته اليومية يدخل إلى غرفته فلا يخرج إلا في اليوم التالي(!!) ويندهش الحراس وسكرتاريته الخاصة: كيف أنه هكذا لايغير حياته، ولايضيق بها، ولا يشعر بالملل!!

وهو يظل يشرب الشاي في أكواب صغيرة طوال اليوم ويدخن البايب.. ثم يشرب كوبا من أملاح الفواكه قبل أن يقوم برياضة المشي، عملا بنصيحة طبيب المانى، فقد قال له: إن هذه الأملاح تقضي على الحموضة وتساعد على إذابة الدهون أو الكوليسترول في الدم، وهو مايجب أن يتفاداه كل مصاب بالقلب!

ثم يتذكر «أنيس منصور» إحدى الوقائع الطريفة والمثيرة أيضاً فيقول:

«أذكر أن الرئيس السادات دعاني إلى العشاء في الإسماعيلية. وكنا ثلاثة هو والمهندس عثمان أحمد عثمان وأنا.. وجاء الطعام وكان مكوناً من سلطة وقطعة واحدة من اللحم(!!) وقطعة واحدة من الخبز وقطعة جبن وبرتقالة، هذا كل العشاء(!!).

فقلت له: سيادة الرئيس هذه هي المكافأة التي ينالها رئيس جمهورية في قمة كفاحه؟ فقط هذا؟!!

وضحك مهدداً: إذا لم تسكت فسوف أجعلك تتعشى معي مرة أخرى!!

ويضيف «أنيس منصور»:

ولأن السادات كان حريصاً جداً على الذي ياكله ويشربه كان يقول: إنني في كل مرة التقي بالرئيس «تيتو» (رئيس يوغسلافيا) أندهش كيف أنه يأكل الكافيار وهو مليء بالكولسترول ثم يشرب الفودكا والسيجار، وقد جاوز الثمانين.. لابد أن أعرف كيف يعيش هذا الرجل؟! هذا عجيب!!

وقد لاحظ الرئيس السادات أيضاً أن مناحم بيجين (رئيس الوزراء الإسرائيلي) عندما تناول الغداء معه في شرم الشيخ قد أكل كمية كبيرة من اللحم والخضروات، وقال (السادات): كيف يفعل ذلك وهو مصاب بالقلب ثم هذه الأعباء السياسية الضخمة والمناورات الحامية في إسرائيل؟!

●●

ولأن «السادات» الذي عرفه أنيس منصور حاجة ثانية، فنحن بانتظار شهادته الكاملة عن هذا «السادات»!!

رشـــاد كامـــل

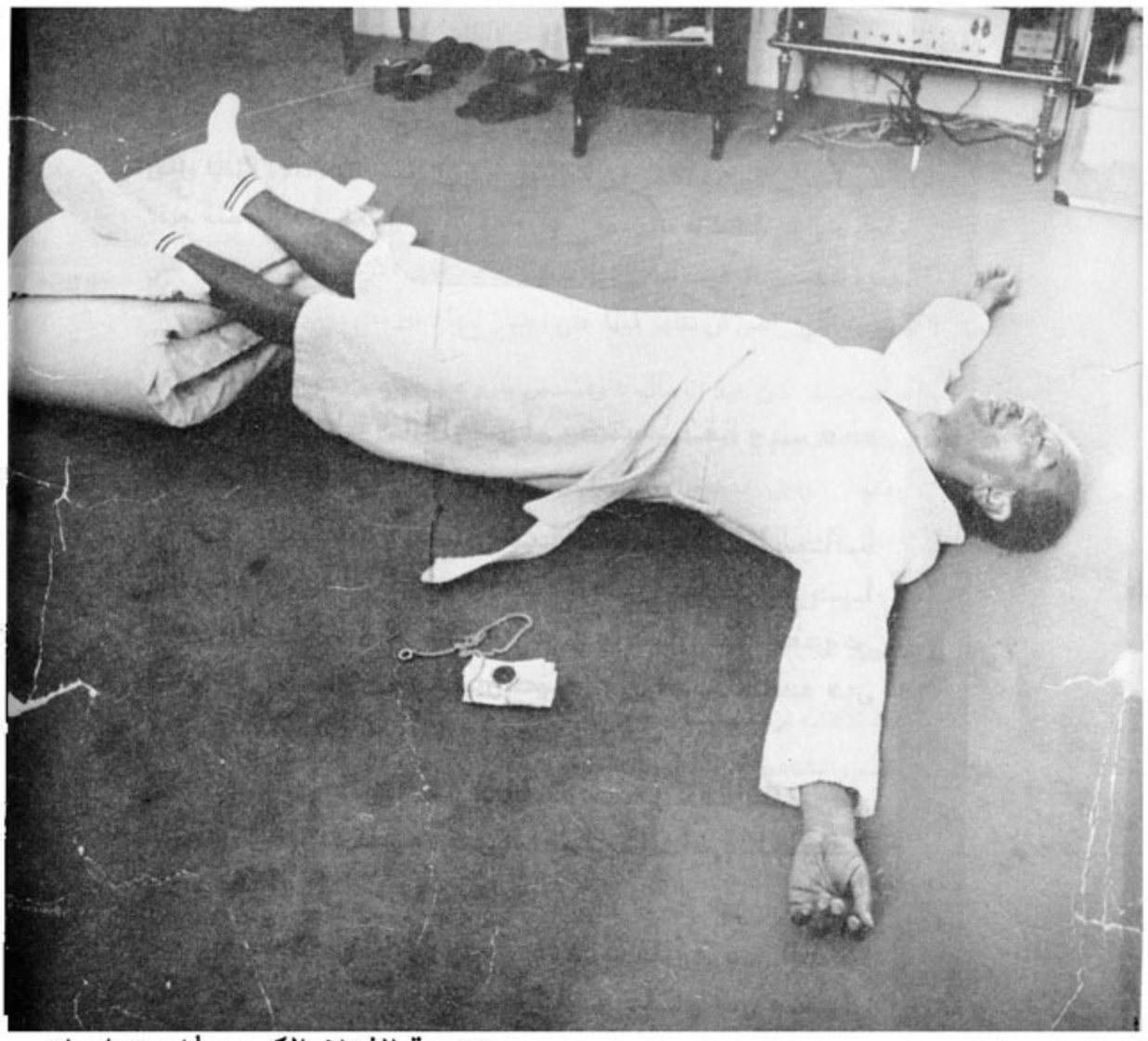

عدسة الفنان الكبير: فاروق إبراهيم